

المدخل التوسطي إلى التدخل المبكر^(١) (إسرائيل) A Mediation Approach to Early Intervention (Israel)

بيننا كلاين Pnina S. Klein

يقدم هذا الفصل مدخلاً عاماً إلى التدخل المبكر (وليس برنامجاً محدداً) يطبق في إسرائيل^(٢) في مؤسسات الرعاية المبكرة وتعليم الأطفال الصغار. يتطلب هذا المدخل بناء سجل فردي يصور طبيعة وجودة تفاعلات الطفل مع البالغين، مع التركيز على خصائص الطفل وأسرته والجماعة المحلية والثقافة. والهدف من التدخل هو تحسين جودة التفاعلات وبالتالي تحسين جودة التوسط من جانب أولياء الأمور وغيرهم من مقدمي الرعاية الآخرين (السلوك التدريسي) التي يمكن أن تؤثر على مرونة عقل الطفل، بمعنى قدرته على التعلم من الخبرات الجديدة.

-
- (١) أجريت البحوث المقدمة في هذا الفصل بدعم جزئي من منظمة الصحة العالمية وصندوق الأمم المتحدة للأطفال (اليونيسيف) ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) ومؤسسة NORAD ومؤسسة Red Barna التي تدعم تنفيذ التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية (MISC) في إثيوبيا وسريلانكا وإندونيسيا والنرويج والسويد والولايات المتحدة وإسرائيل. أعد هذا الفصل بدعم من كرسي مكاخادو Machado للبحوث حول التعديل المعرفي Cognitive Modifiability بجامعة بار إيلان بإسرائيل.
- (٢) لا تعترف دول عربية وإسلامية كثيرة بدولة إسرائيل، وتستخدم محلها مسميات مثل "فلسطين المحتلة" أو "الكيان الصهيوني" أو غير ذلك. لكن الأمانة العلمية في الترجمة تفرض استخدام مصطلح "إسرائيل" المترجم.

حكاية تالي

تتجول تالي Taly ابنة الثالثة من العمر في الغرفة بلا هدف، وتلمس الأشياء المختلفة أو تلقي عليها نظرات عابرة. حاول والدها أن يلعب معها كما طلب منه المستشار التربوي. تناول الوالد كتاباً من الرف وجلس على السجادة وحاول أن يجلس تالي بالقرب منه، وأخذ يستعد للقراءة لها. ليس لدى تالي رغبة في الجلوس، ناهيك عن الاستماع إلى القصة. حاول الأب مجدداً أن يلتفت انتباهها بإخراج سلة اللعب وإفراغ محتوياتها على الأرض. اقتربت تالي من اللعب وأخذت تتناول واحدة منها بعد الأخرى وتلقبها على الفور. فقدم لها الأب كرة صغيرة، فتناولتها تالي ثم سرعان ما ألقت بها بعيداً. واصلت تالي التنقل بناظرها حول الغرفة، ثم اقتربت من والدها وجذبه نحو الباب وأومات برغبتها في الخروج.

قال والد تالي أن هذا السلوك هو المعتاد منها يومياً، علماً أنها تكون أكثر حدة في المنزل وتنتابها نوبات من الغضب عندما لا تحصل على ما تريد. وقد كان أكثر ما يشغل والد تالي هو نموها اللغوي المتروكي. تتبع الأسرة مع تالي نصيحة طبيب الأطفال: أثيروا انتباه تالي بعرض أشياء كثيرة أمامها مثل الأشياء العينية أو اللعب أو الصور في الكتب.

لقد تمحدد الهدف العام من برنامج التدخل لتالي في مساعدتها في تنمية مجموعة من الحاجات (كالحاجة إلى التركيز على الأشياء وإدراكها بوضوح، والحاجة إلى إيجاد معنى فيما تدرسه، والحاجة إلى الربط بين الأشياء، والحاجة إلى التخطيط قبل أن تشرع في الفعل، والحاجة إلى إكمال المهام، والحاجة إلى معايشة النجاح). إن مفهوم الحاجة ضروري لفهم التدخل. والهدف من التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية Mediation Intervention for Sensitizing Caregivers هو التأثير على نسق الحاجات لدى الطفل. وكل الأهداف الأخرى، بما في ذلك تنمية الفهم أو المهارات، تكون ثانوية وتابعة للتأثير على نسق الحاجات الذي من شأنه أن يمكن تالي من أن:

- تتعلم من الخبرات الجديدة (كأن تدفع بالحاجة إلى التركيز على الأشياء ومشاهدتها وسماعها وشمها وتذوقها وتحسسها بوضوح، وأن تضيف معنى على الأشياء، وأن تربط بين الأشياء، وأن تحصل على معلومات أكثر حولها أبعد مما يتيحها الحواس).
 - تطلب الموافقة وتعايش النجاح في سياقات اجتماعية ذات معنى.
 - تخطط مقدماً لتنظيم سلوكها لكي تعايش النجاح في سياقات اجتماعية ذات معنى.
- وقد تم إنجاز هذا الهدف متعدد الأوجه من خلال تحسين جودة تفاعل تالي مع الآخرين، وتحديدنا من خلال جودة السلوك التدريسي (التوسط) الذي تتلقاه.

تم تصوير تالي بالفيديو وهي تتفاعل مع والديها في المنزل في أثناء اللعب وغيرها من مواقف تقديم الرعاية. وخلال سلسلة من اللقاءات مع والدي تالي، حلل الممارسون أشرطة الفيديو، ووضعوا بناء عليها خططاً للتوسط وتبادلوها مع والدي الطفلة، فضلاً عن المعلومات حول نموا العام (اللغوي والمعرفي والعاطفي والحركي) وما تحب وما تكره في ضوء ما تعانته من خلل في التكامل الحسي والحساسية المزاجية.

في كل لقاء مع والدي تالي كان الممارسون يستخدمون التفاعلات المسجلة على شريط الفيديو لتحديد معيار أساسي أو أكثر للتفاعل الجيد مع الأطفال الصغار جداً. بدأت اللقاءات مع والدي تالي بأن قدم الممارسون التشجيع (توسط الكفاءة) حول بعض مكونات التفاعلات المسجلة مع تالي (مثل انشغال الوالدين بنموها وجهودهما لتركيز انتباهها). وبناء على الجلسات المسجلة تم تحديد الحالات التي انتهت فيها تالي أو نظرت إلى شيء، ولو سريعاً، ومناقشتها من حيث علاقتها بسلوك الوالدين الذي يسبقها أو يليها. وفي اللقاءات التالية مع تالي والديها تحول التركيز إلى جمع المعالم النمائية والخصائص والصعوبات الخاصة بالطفلة ومعايير التفاعل والتوسط الجيدين. وقد وصل الممارسون تشجيع والدي تالي على بذل الجهد في عملية التوسط الجيد (في مقابل الإثارة المجزأة). وكان التدخل يعتمد على عمليات التفاعل المتواصلة مع تالي في بيئتها الطبيعية. وقد شارك في التدخل كل البالغين الذين يتفاعلون مع تالي في المنزل وفي برنامج رعاية الطفولة.

وبعد ثمانية لقاءات مع والدي تالي وثلاثة مع الموظفين في برنامج رعاية الطفولة الخاص بها، لوحظت تغييرات كبيرة في تفاعلات تالي مع والديها ومقدمي رعاية الطفولة والأقران. تعلم والديها ومقدمو الرعاية أن يتوقفوا عن استخدام الإثارة المجزأة *Fragmented Stimulation* والمدخل التعليمي الفظ *Over-didactic Approach* اللذان أدبيا إلى تركيز انتباه تالي مرات كثيرة دون أن يساعدنا في استغلال هذا الانتباه. وبدلاً من ذلك بدأ الوالدان ومقدمو الرعاية يتبعون قيادة تالي بأن يختاروا الأشياء أو الأنشطة التي اختارتها والحفاظ على انتباهها وإطالة حوادث الانتباه المشترك بإظهار التأثير وربط الأشياء بمعاني (مثل: آه يا له من طائر جميل). لقد تحسن ارتباط تالي الاجتماعي ومستواها في اللعب واهتمامها بالعالم من حولها بدرجة كبيرة، وهو ما أحدث نمواً كبيراً في مهاراتها التواصلية واللغوية. وتالي الآن في طريقها إلى تنمية مهارات كالتي تتوفر لدى الأطفال ذوي النمو النموذجي.

السياق القومي

تأسست إسرائيل كدولة عام ١٩٤٨م لتكون وطناً للشعب اليهودي. وهي بلد صغير يتكون من ٢٢١٤٥ كيلو متر مربع و٦ مليون نسمة. وتضم إسرائيل نسبة من الأطفال أكبر من معظم المجتمعات الغربية. فوفقاً لتعداد عام ٢٠٠٠م يوجد بإسرائيل ٨٤١٠٠٠ طفل تحت السادسة، يضاف إليهم سنوياً ١٢٧٠٠٠ مولود تقريباً. والغالبية العظمى من الأطفال الصغار الذين يعيشون في إسرائيل ولدوا بها.

كانت إسرائيل منذ إنشائها تعتبر بوتقة للمهاجرين من جميع أنحاء العالم. وقد جاء معظم المهاجرين من أوروبا وآسيا وأفريقيا وبعضهم جاءوا من الولايات المتحدة وكندا. وبداية من التسعينيات وصلت موجات كبيرة من المهاجرين من دول الاتحاد السوفيتي السابق ومن إثيوبيا. ورغم القاسم المشترك المتمثل في كون المهاجرين جميعاً يهوداً فإنهم يختلفون كثيراً في مظهرهم وكذلك خلفياتهم الثقافية والتعليمية. فالمهاجرون من الدول الأفريقية والآسيوية تكون دخولهم ومستوياتهم التعليمية في الغالب أقل من ذوي الأصول الغربية. كما أنهم يعيشون في أحياء فقيرة، والتحصيل المدرسي لأطفالهم أقل ومعدل تسربهم أعلى. ورغم أن الاختلافات بين المهاجرين من الشرق والغرب تتراجع بمرور الوقت، ومع اندماج كثير من الأشخاص في ثقافة إسرائيل، تخلوا عن قيم آبائهم الثقافية والدينية دون أن يستعيضوا عنها بقيم أخرى. وذلك يؤدي كثيراً إلى تصدعات في عملية النقل الثقافي إلى الأجيال الناشئة.

إن المهنيين وهم يساعدون الأسر المهاجرة في التعامل مع عالمهم الجديد ينقلون لهم أيضاً الرسالة الضمنية: "نحن أصحاب المكان. افعلوا ما نقوله لكم، فنحن نعرف أفضل منكم". وعندما تنقل رسالة من هذا النوع حول ممارسات تربية الأطفال، فإن تأثيرها يكون مدمراً، حيث تقتل ثقة الآباء والأمهات في قدرتهم على مساعدة أطفالهم في النمو. وهذا العجز المدرك قد يتضخم عندما يولد للأسرة طفل معاق. وبرامج التدخل المبكر من نوع النموذج الذي سيقدم في موضع لاحق من هذا الفصل طُوِّرت لمساعدة

أولياء الأمور الذين تتباهم المخاوف حول أطفالهم وتزويدهم بطرق يمكنهم من خلالها تعزيز نمو أطفالهم دون استخدام المواد المقيدة أو الألعاب التي يفرضها "الغريب".
نظام الخدمات التعليمية

أنشئ نظام التعليم الإسرائيلي قبل ٥٠ عاماً تقريباً من تأسيس الدولة المستقلة في إسرائيل. وفي عام ١٩٤٩م صدر قانون التعليم الإلزامي الذي ألزم الدولة وأولياء الأمور بضمان أن ينتظم كل طفل مجاناً بالمدرسة بين عمر الرابعة والخامسة عشر، ثم تم تعديل قانون التعليم الإلزامي ليشمل أطفال الثالثة، لكنه لم يطبق على المستوى القومي إلى الآن.

إن أهداف تربية الطفولة المبكرة في إسرائيل، كما صرحت وزارة التعليم، هي "أن تضمن أن يتوفر لكل الأطفال الظروف والفرص الضرورية للأداء الفعال والإنجاز الشخصي". ينقسم نظام التعليم العام إلى نظامين فرعيين رئيسيين: يهودي وعربي، لكل منهما منهجه ومؤسساته، وهما متماثلان وإن كانا يختلفان في اللغة والثقافة. وينقسم نظام التعليم اليهودي أكثر من ذلك بناء على الالتزام الديني إلى نظم علمانية ودينية ومستقلة. وتلك النظم المنفصلة تجعل كل قطاع مستقلاً في استخدام لغته وممارسة ثقافته، لكنها في ذات الوقت تزيد التباينات في مستويات التحصيل التعليمي وقد تسهم في استمرار الفجوات الاجتماعية بين هذه المجموعات. ويوجد في إسرائيل ٨٣٠٠ روضة أطفال (ناهيك عن المستقل منها). وتشرف وزارة التعليم على كل البرامج التربوية المقدمة لكل الأطفال بداية من عمر الثالثة.

يقدم مجلس التعليم عدة برامج للأطفال من الميلاد حتى الثالثة. وتلك البرامج التي تستهدف الأشخاص المعرضين للخطر (في المقام الأول الأسر الفقيرة) تقدم إما في بيوت الأطفال أنفسهم أو المراكز الصحية أو المراكز المجتمعية، ويكون الهدف منها تشجيع انخراط الوالدين وبناء تفاعلات جيدة مع أطفالهم. وتحاول البرامج أن تحسن المهارات الوالدية ونمو الطفل العام والاستعداد المدرسي. وثمة برامج مسائية تقدمها

السلطات المحلية ووزارة التعليم أو المراكز المجتمعية أو منظمات النساء القومية. ويدفع أولياء الأمور ثمن هذه البرامج.

رعاية الطفولة للأطفال حتى عمر الثالثة

يتلقى أطفال ما قبل الثالثة الخدمة إما في مراكز رعاية الطفولة Child Care Centers أو في وحدات الرعاية الأسرية Family Care Units (حيث تقدم رعاية الطفولة لمجموعة من أربعة إلى ستة أطفال في أحد بيوت الأهالي) أو من جانب الأقارب أو مقدمي الرعاية الآخرين في المنزل. تُموّل مراكز رعاية الطفولة من منظمات النساء الكبرى في البلاد وتخضع لإشرافها، كما تحصل على دعم من وزارة العمل والضمان الاجتماعي. يدير هذه البرامج عدد من منظمات النساء، وهي تعمل عادة ٨ ساعات يومياً لمدة ٦ أيام في الأسبوع. وتتمثل أهداف مراكز رعاية الطفولة ومراكز الرعاية الأسرية في رعاية الصالح العام وتشجيع وتسهيل عمل الأمهات وتوفير الإثراء التربوي. وقد اجتازت برامج رعاية الطفولة تغييرات واسعة نتيجة للتدريب المكثف لمقدمي الرعاية قبل الخدمة والإشراف في أثناء الخدمة.

تخضع برامج رعاية الطفولة الأسرية للأطفال من عمر ثلاثة أشهر إلى ثلاث سنوات لإشراف وزارة العمل والضمان الاجتماعي، ويديرها إما المركز المجتمعي المحلي أو إدارة الضمان الاجتماعي المحلية. يعمل هذا البرنامج على أساس أن تقوم مقدمة رعاية واحدة بتقديم الرعاية والتعليم لحوالي ستة أطفال تحت عمر الثالثة في بيت مقدمة الرعاية. والهدف من رعاية الطفولة الأسرية هو أن تقدم رعاية فردية وملائمة تماماً لأطفال ما دون الثالثة. ومقارنة بالأطفال اليهود تحضر نسبة أعلى نسبياً من الأطفال العرب برامج رعاية الطفولة الأسرية بدلاً من مراكز رعاية الطفولة. على أن كثيراً من مقدمي الرعاية الخاصين ليسوا معتمدين. وهذا النوع من الخدمة شائع جداً بالنسبة للأطفال في عاميهم الأولين.

ولا تزال جودة الرعاية المقدمة لأطفال إسرائيل الصغار في حاجة إلى تحسين. والتحدي الرئيس هو انخفاض الحساسية لاحتياجات كل طفل والتجاوب معها، وهو ما ينتج أساساً عن نسبة الأطفال إلى مقدمي الرعاية الكبيرة نسبياً. إضافة إلى ذلك توجد مشكلات كثيرة تتعلق بجودة برامج رعاية الطفولة المقدمة للأطفال الصغار في إسرائيل تنتج عن الصعوبات التي يواجهها مقدمو الرعاية في "ترجمة" المعرفة المتاحة إلى ممارسات رعاية جيدة.

الحضانات ورياض الأطفال

يشير مصطلح الحضانة Nursery School إلى الرعاية المقدمة للأطفال الثالثة والرابعة من العمر، وتشير رياض الأطفال Kindergarten إلى الرعاية التي يحصلون عليها حتى عمر السادسة. ينخفض معدل حضور الأطفال العرب في الحضانات ورياض الأطفال مقارنة بالأطفال اليهود، وإن كان في ازدياد منذ عام ١٩٨٠م. وفي عام ١٩٩٢م بدأت وزارة التعليم برنامجاً خاصاً لتشجيع تعليم الأطفال العرب (بما في ذلك القطاع الدرزي، وهم طائفة مسلمة تعيش أساساً في لبنان وجنوب سوريا وشمال إسرائيل). يتضمن البرنامج زيادة ساعات التدريس الصفية وتدريب المعلمين وتطوير المنهج والكتب الدراسية. وتخضع رياض الأطفال في إسرائيل لإشراف إدارة التعليم ما قبل الابتدائي بوزارة التعليم. والهدف الأساسي من رياض الأطفال هو أن تضمن النمو الأمثل لكل طفل، مع التركيز بشكل خاص على الفروق الفردية كما يعكسها المثل الثقافي "ينبغي أن يتعلم كل طفل بطريقته الخاصة". ومن الأهداف الأساسية لرياض الأطفال كذلك أن تعد الأطفال للمتعلم المدرسي الشكلي. ومن أجل بلوغ هذا الهدف، وضعت وزارة التعليم معايير لمعلمي الأطفال الصغار في كل رياض الأطفال: العربية والدرزية والعلمانية والديتية.

إن وزارة الصحة هي المسئولة عن تعليم الأطفال ذوي الإعاقات البدنية والنمائية حتى عمر الثالثة. وسياسة وزارة التعليم بالنسبة للأطفال ذوي الإعاقات من

عمر الثالثة إلى السادسة هي أن تدجهم في رياض الأطفال النظامية وتدعم برنامجهم بوضع ساعات من الخدمات الخاصة تقدم لهم أسبوعياً ضمن الإطار التعليمي العام.

السمات الأساسية للتدخل المبكر

تنظر الثقافة اليهودية ودولة إسرائيل إلى الأطفال باعتبارهم الثروة الطبيعية الرئيسة ، ولا جدال في مركزية الأطفال في عملية صنع القرارات الحكومية. فلا يوجد في إسرائيل نقص في برامج التدخل للطفولة المبكرة. وإنما على العكس من ذلك توجد وفرة في برامج التدخل المبكر التي تنفذ لفترات قصيرة ثم تستبدل بأخرى. والتنوع في برامج التدخل ربما يرتبط بالحقيقة التي ينقلها القول الشائع في إسرائيل "إذا سألت ثلاثة إسرائيليين نفس السؤال ، فسوف تحصل على سبعة إجابات مختلفة". وتتضمن معظم برامج التدخل تمارين أو تعليمات منظمة لأولياء الأمور حول العمل مع أطفالهم بطرق محددة وألعاب معينة. وتلك البرامج قد تشجع أولياء الأمور للاعتماد على دمي وألعاب ومواد محددة دون أن يتعلموا كيف يعممون الأنشطة مع تقدم الطفل في العمر.

التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية

إن الهدف من نموذج التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية MISC هو دعم نمو أطفال أكثر ذكاءً وحساسية More Intelligent and Sensitive Children (واختصارها هي الأخرى هو MISC) من خلال التعلم المتوسط Mediated Learning أي التعلم الذي يحدث في وجود بالغ يحاول أن يتوسط بين الطفل وبيئته ليضمن أن يحدث التعلم. والذكاء هنا يعرف بأنه قدرة الفرد على أن يتعلم بسهولة ويسر من خبراته وحاجته إلى هذا التعلم. ونموذج التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية MISC هو العملية التي من خلالها يتحقق هذا الهدف.

إن التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية كمدخل توسط نمائي يقوم على اندماج وتكامل ثلاثة أطر نظرية رئيسة. تلقي النظرية الإيكولوجية - الثقافية Ecocultural Theory الضوء على أهداف مقدمي الرعاية من تربية الأطفال ، ورؤيتهم

التربوية طويلة المدى للأهداف، وتصوراتهم للطفل والوالد المثالي. ويؤكد منظور التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية على ضرورة استجلاء البيئة العرقية - الثقافية Ethnocultural والإيكولوجية الأساسية التي يرمى فيها الأطفال وتطابقها مع أهداف التدخل قبل تصميم أي برنامج تعليمي (Hundeide, 1996; Klein, 1996). وتقتصر النظرية النمائية Developmental Theory أن التطابق بين السلوك التوسطي من جانب البالغين والحاجات النمائية للأطفال الفرديين أساسية للتعلم (Greenspan & Wieder, 1998; Klein, Wieder, & Greenspan, 1987). ويبدأ هذا المدخل بتلبية الحاجة الانفعالية للطفل الصغير إلى علاقة حنونة مستقرة مع مقدم رعاية واحد. وتفترض نظرية التعلم المتوسط mediated learning theory المشتقة من أعمال فورشتاين (Feuerstein 1979, 1980) وفيجوتسكي (Vygotsky 1978) أن ثمة خصائص أساسية كثيرة لا بد أن تتوفر في سلوك البالغ لكي يخلق خبرات التعلم المتوسط للأطفال الصغار. ومن أنواع السلوك التوسطي ما يلي:

- التركيز: محاولة لفت انتباه الطفل أو الانضمام إلى الطفل فيما ينتبه إليه.
 - الإثارة: توسط المعنى لرفع وعي الطفل بالمغزى أو الأهمية المرتبطة بالأشياء أو الأشخاص أو الأفعال في البيئة.
 - التوسيع: تجاوز (لفظياً أو غير لفظي) السياق العيني المباشر للتفاعل.
 - التشجيع: دعم شعور الطفل بالكفاءة والتعبير عنه بأكثر طريقة ثلاثية.
 - التنظيم والتخطيط: تنظيم السلوك لتعزيز تخطيط السلوك، بما في ذلك الاعتبارات التي تسبق الأفعال وتعليم الطفل عملياً كيف يفعل الأشياء.
- وتكشف الأدلة الإمبريقية (Klein, 1996; Klein & Alony, 1993; Tzuriel, 1999) أن هذه الخبرات من شأنها أن تعزز فرص النمو المعرفي والانفعالي للأطفال الصغار. انظر الجدول رقم (٤، ١) للمزيد من المعلومات حول تلك الجوانب في مدخل التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية.

الأطفال الذين يمكن أن يستفيدوا فعلاً من التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية تذهب نظرية فورشتاين (١٩٨٠م) حول التعديل المعرفي Cognitive Modifiability إلى أن قدرة الأطفال على الاستفادة من الخبرات الجديدة ترتبط بنوع تفاعلاتهم مع مقدمي الرعاية البالغين. تتضح هذه الاختلافات في طريقة مقارنة الأطفال للخبرات الجديدة ودمجها مع الخبرات الأخرى والتعبير عن أنفسهم. والأطفال الذين يحرمون من التوسط بغض النظر عن إعاقاتهم أو احتياجاتهم الخاصة لا تتوفر لديهم الرغبة لاستكشاف بيئتهم، أو البحث عن المعنى، أو صنع ارتباطات بين خبراتهم، أو السعي وراء "الجدة" والطرافة. كما يميل هؤلاء الأطفال بدرجة أقل من الأطفال الآخرين إلى طلب المساعدة من البالغين. ويعايش هؤلاء الأطفال عالمهم بطريقة منعزلة ومجزأة تحد من قدرتهم على الاستفادة من الخبرات المستقبلية. وقد دفع فورشتاين بأن هذه الخصائص تنتج عن العمليات المعرفية المعيبة التي ترتبط بدورها بخبرات التوسط السيئة. والأطفال الذين توجد عندهم أوجه القصور من هذا النوع تعتبرهم نحن إما يفتقرون إلى المرونة المعرفية أو يواجهون صعوبات في الاستفادة من الخبرات الجديدة.

صعوبات التعلم لدى الأطفال الذين لم يحصلوا على خبرات توسطية كافية

يستخدم التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية مع الأطفال المعرضين للخطر بسبب الفقر والإهمال، وكذلك الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، بما في ذلك الأطفال المولودين بوزن منخفض جداً (Klein, 1991; Klein, Raziel, Brish, & Birenbaum, 1987) والأطفال ذوي متلازمة داون والأطفال الموهوبين الصغار جداً (Klein, 1996; Klein & Tannenbaum, 1992) ومؤخراً الأطفال ذوي الصعوبات في التكامل الحسي والتواصل. وتأسيساً على كل البحوث التي أجريت حول هذا الموضوع (انظر منها: Klein, 1996; Klein & Alony, 1993; Klein & Rosental, 1999) تم تحديد نمطين عامين من أنماط التوسط الوالدي على أنهما لا يسهمان في نمو الأطفال،

بل وربما يعيقانه. يتمثل أحد هذين النمطين في نقص الدافعية والطاقة والشعور الإيجابي المطلوبة للتوسط لدى الوالدين. وهذا يؤدي إلى انخفاض تكرار كل أشكال السلوك التوسطي. ويتمثل النمط الآخر، على النقيض من السابق، في الدافعية المفرطة للتوسط الذي يتميز بتكرار مرتفع لسلوك التركيز بدرجة لا تتناسب مع التكرارات المرتفعة لأشكال السلوك التوسطي الأخرى (مثل إثارة السلوك وتوسيعه وتشجيعه وتنظيمه). إن الأمر هنا يبدو وكأن الآباء والأمهات لديهم طاقة للعمل لدعم نمو طفلهم، لكنهم لا يعرفون كيف يقدمون التوسط الذي يسمح لأطفالهم بالتركيز على الأشياء أو الأشخاص في بيئتهم للحصول على خبرات موسعة ذات معنى ولكي يكونوا ناجحين. وقد خلص كلاين ورازيل وزملاؤهما Klein, Raziel, and colleagues من عملهم مع آباء وأمهات الأطفال منخفضي الوزن عند الولادة إلى أنه حتى التدخلات القصيرة عن طريق التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية أدت إلى تحسن كبير في التوسط الوالدي، وبالتالي، تحسين أداء الأطفال المعرفي.

أساليب التوسط التحليلية والشمولية عبر الثقافات

لقد أسهمت الدراسات العابرة للثقافات في تحديد أساليب التوسط المختلفة وتأثيراتها على الأطفال. في العادة تركز معظم برامج التدخل المبكر الحديثة - الغربية - على مهارات أو قدرات أو إعاقات محددة، وطرق التدريب على مهارات فردية أو ممارستها أو تعزيزها. لكن هذه البرامج نادراً ما تقترب من الدوائر الأوسع للمعنى الثقافي للحياة وطبيعة القيم وفلسفة الوالدين للتربية وتصورات الوالدين للطفل أو الوالد المثالي. في حين أن تحديد هذه المعلومات واستخدامها في التدخل من شأنه أن يحسن تعاون الوالدين وفرصة الصيانة طويلة المدى لتأثيرات التدخل.

يلعب فهم المعنى والقيم ومستوى التزام الوالدين ومقدمي الرعاية دوراً تنظيمياً أساسياً في التدخلات المبكرة. وقد ميزت كلاين (Klein, 1996) بناء على بحوث أجريت

في إسرائيل وأوروبا وأفريقيا والولايات المتحدة بين أسلوبين رئيسين للتوسط : التحليلي والشمولي. يوجد التوسط التحليلي Analytic Mediation عادة في تفاعلات الطفل مع البالغين فيما يسمى العالم الغربي ، ويتضمن السلسلة التوسيطية : التركيز ثم الإثارة ثم التوسيع ، إلى جانب أشكال مختلفة من تشجيع وتنظيم السلوك (مثل "انظر، انظر إلى هذه الزهرة، إنها وردة. شمها، إن رائحتها زكية"). وتختلف المكونات داخل هذه المجموعة من حيث التكرار والشكل ، لكنها تقوم عموماً على عزل أجزاء البيئة وتركيز انتباه الطفل عليها.

أما التوسط الشمولي Holistic Mediation فيوجد عادة في المجتمعات غير الغربية الأكثر تقليدية. وعلى خلاف الأسلوب التحليلي ، لا يقوم هذا الأسلوب على تجزئ، الخبرات إلى مكونات صغيرة وتعليمها تتابعياً ، وإنما يعطي للطفل خبرات لها مغزى ثقافي وترتبط مباشرة بأحداث ذات معنى في حياة الطفل وأسرته. من ذلك مثلاً أن يحدث التوسط من خلال الرواية المتكررة للقصص ومسرحة الأحداث ذات الصلة بحياة الطفل. ولا يلزم أن تجتاز تلك الخبرات اختبار العلم أو أن تكون حقيقية ، لكنها تساعد كثيراً من الأطفال في أن يعرفوا بيئتهم وكيف يفعلون الأشياء ولماذا.

سمات استخدام التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية في المنزل

ينفذ التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية في إسرائيل في مراكز الرعاية الصحية للأمومة والطفولة ومراكز رعاية الطفولة ورياض الأطفال ، وكذلك في التدريب قبل الخدمة لموظفي رعاية الطفولة ومعلمي رياض الأطفال ومعلمي المدرسة الابتدائية. ويتمثل جوهر هذه المدخل في رفع الحساسية Sensitization وزيادة الوعي بالقضايا الرئيسة في علاقة مقدم الرعاية بالطفل. والهدف من التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية هو أن يعزز إقامة علاقة تيسيرية سليمة بين الطفل والبالغ كوسيلة لتحسين إمكانية التعلم لدى الطفل. ويمكن تنفيذ البرنامج مع معظم الأطفال في

سياقات متنوعة كالحضانات وفصول ما قبل المدرسة والمشروعات واسعة النطاق القائمة على المجتمع المحلي التي تتضمن مهنيين وأفراد ذوي خبرة يطبقون "التدريب المنزلي" مع الوالدين. وقد حدث تطبيق ناجح للتوسط في بيئة تعلم بالحاسوب في رياض الأطفال (Klein for Nir-Gal, 1992; Klein, Nir-Gal, & Darom, 2000). لكن هذا الفصل يركز على

استخدام التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية مع أولياء الأمور في المنازل. يشتمل مشروع التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية على مكونات مقيدة وغير مقيدة. يتعلق المكون المقيد Structured بتدريب الوسطاء Mediators الذين يفترض أن ينفذوا التدخل، بينما يتعلق المكون غير المقيد Unstructured بالتفسيرات الثقافية للأهداف والمحتوى الذي يتم من خلاله تقديم معايير التوسط وإظهارها في المنزل. وعندما يطبق التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية في المنزل يقوم الوسطاء بزيارات منزلية. ولا بد أن تتوفر لدى الوسطاء معرفة أساسية بالمبادئ العامة لنمو الطفل ومعالجه، وتقدير الفروق الفردية في النمو، وفهم عميق للواقع الثقافي والاجتماعي - الاقتصادي للسياق المحدد. ويجب أيضاً أن يكونوا قادرين على إقامة علاقة قوية مع الأم أو مقدمي الرعاية والعمل بطريقة تقوم على الحب والتقبل. ويتوقع من الوسطاء كذلك أن يقدموا التشجيع وليس الانتقاد أو التقييم وأن يبشوا الحماس والأمل حول دور الوالدين أو مقدم الرعاية في تعزيز نمو الطفل.

ولا يهم كثيراً أن يتعلم الطفل إلى أن يربط معنى بشيء أو آخر طالما أن الخبرات تُربط بمعنى. وحيث أن معايير التوسط ليست الثقافة العالية أو محتوى محدد، فيمكن إظهار المعايير عبر الأسر وفقاً للخبرات الثقافية المختلفة أو الأشياء أو الأشخاص.

عملية استخدام التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية في المنزل

تتكون العملية الأساسية لتنفيذ التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية في المنزل من عدة سمات رئيسة سنورد تفاصيلها تحت العناوين التالية.

نفذ زيارة أولية: تنفذ زيارات منزلية لكل أسرة مشاركة قبل بدء البرنامج. ويتم في هذه الزيارات ملاحظة تفاعلات الأم مع الطفل في أثناء تناول الطعام والاستحمام واللعب وتصويرها على شريط فيديو (في معظم المنازل تكون الأم هي مقدم الرعاية الأساسي في أثناء الطفولة المبكرة). وتجري مقابلات مع الأم لتقييم اتجاهها نحو الطفل وفلسفتها التربوية والأهداف التي تعولها على تربية الطفل، وأيضاً للحصول على لمحة عامة عن روتين الطفل اليومي. وتأسساً على الملاحظات والمقابلات يُكوّن الزائر المنزلي وصفاً للتوسط المقدم للطفل، وإذا أمكن أيضاً وصفاً لنوع التوسط الذي يقدمه كل فرد بالأسرة. وبعد ذلك يضع الزائر المنزلي مخططاً عاماً لخطة التدخل.

اختر شكل خطة التدخل: في بعض الأسر ينصب التركيز الأساسي للتدخل على تأسيس حلقة إيجابية للتفاعل التعبيري بين الطفل والبالغ. وتلك العلاقة أساسية لإرساء أساس سليم للتقبل المتبادل ورابطة انفعالية بين مقدم الرعاية البالغ والطفل. وهذا النوع من التدخل يكون مطلوباً لإرساء القصدية والتبادلية في علاقات الطفل من البالغ.

توسط مشاعر الكفاءة: يبدأ الزائر المنزلي التدخل مع كل أسرة بتوسط مشاعر الكفاءة أو نقلها إلى الأم حول أشكال السلوك التي توسطها بنجاح إلى طفلها والتي أظهرت لها أعلى تكرار لمعايير التوسط (كما تحددت في الملاحظة الأولية). ويتم لفت انتباه الأم إلى ذلك المعيار المحدد ويوضح لها باستخدام أسلوب سنعرضه فيما بعد في هذه المناقشة. ثم يساعد الوسيط الأم في إيجاد طرق أخرى لإظهار السلوك في الحياة العادية. ويعتمد تسلسل تقديم المعايير على جوانب القوة والضعف في توسط الأم، ويبدأ دائماً بجوانب القوة النسبية لضمان توسط الكفاءة إليها.

راجع الجلسة السابقة: تبدأ كل جلسة بمراجعة معايير وأمثلة التوسط التي قدمت في اللقاء السابق، وتنتهي بتلخيص أشكال السلوك التوسطي التي قدمت في الجلسة الحالية. ينفذ الزائر المنزلي زيارات دورية لكل أسرة مشاركة في البرنامج (زيارة أسبوعياً

أو أقل من ذلك حسب الحاجة). ويقوم كل وسيط بمراجعة الجلسة مع مدرب (مشرف) ويعد ملخصاً للجلسة، إلى جانب أهداف وخطط الجلسة القادمة.

نفذ اجتماعات أولياء الأمور: تعقد اجتماعات عامة كل شهر أو اثنين لكل أولياء الأمور المشاركين. اطلب من أولياء الأمور في هذه اللقاءات أن يملأوا تفاعلات الأم والطفل المسجلة على شريط الفيديو وأن يقترحوا طرقاً بديلة للتوسط.

الممارسات المقترحة للزيارات المنزلية

عند استخدام نموذج التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية في المنزل يتبع الوسيط عدة ممارسات مفيدة. وهذه الممارسات قد تختلف من أسرة إلى أخرى، ولذلك فإن المعلومات التالية تمثل أمثلة إيضاحية فحسب.

يكون توجيه الأم بأقصى كفاءة ممكنة عندما تسجل تفاعلات الأم مع الطفل على أشرطة فيديو ثم تشاهد الأم الأشرطة مع الوسيط، ويتم استخدام كل معايير التوسط الأساسية في تفاعل الأم مع الوسيط، وتتم مساعدة الأم على التعرف على تلك المعايير.

يركز توسط المعايير إلى مقدمي الرعاية (الأمهات عادة) على المواقف اليومية. وبعد المرحلة الأولية يتم تحديد المعايير وهي تنبثق في الأعمال الروتينية المنزلية ويتم توسيع وعرض طرق أخرى ممكنة لتعميم التفاعلات. فيمكن للوسيط مثلاً أن يقول "ستأتي حماتك لزيارتك، وقد كرست كل جهدك لتنظيف المنزل وطبخ وجبة جيدة والعناية بالغسيل للأطفال وتنظيف ملابسهم. وبعد ذلك كله لا تقول حماتك أي شيء. فأنتي بعد أن فعلت كل ذلك لا تحصلين على أي مشاعر كفاءة متوسطة. كيف ستشعرين؟" وثمة احتمالات أخرى: تقول حماتك: "شكراً لقد استمتعت بالزيارة"، أو "شكراً لك، أحب دائماً أن أراك والأطفال بهذه الهيئة الجميلة". كلا هذا الاحتمالان يقدمان لك مشاعر الكفاءة، وأنت بالطبع ستشعرين بالراحة عندما تسمعين أشياء

جيدة تقال بحقك. وعلى أية حال فإن الاحتمال الثاني فقط هو الأكثر تحديداً حول تقديم نماذج للزيارة القادمة. بمعنى أنه إذا كانت حماتك قد استمتعت برؤيتك والأطفال على هذه الهيئة الجميلة ، فرمما لا يكون ضرورياً أن تبدلي نفس القدر من الجهد في تنظيف المنزل أو الطبخ في المرة القادمة".

سنناقش فيما يلي المعايير نفسها كما تظهر في تفاعلات الطفل مع البالغ. على سبيل المثال يمكن للوسيط أن يقول : "عندما يخربش طفلك على قطعة من الورق ويأتي بها إليك ، فلا تتجاهلين فعله. قدمي له توسط الكفاءة. قولي له أن الرسم جميل ، وحاولي أن تذكري أسباباً لذلك (إذا كنت تريدين منه أن يفعل ذلك بطريقة أفضل في المرة القادمة). فيمكن مثلاً أن تقولي : "إنه رسم جميل. أرى أنك تستخدم ألواناً كثيرة" (أو آه لقد ملأت الصفحة كاملة). وتعتمد تعليقاتك على ما تعتبرينه هدفاً منشوداً في نمو طفلك وسلوكه المستقبلي". ومن السهل على الأمهات أن يتوحدن مع معايير التوسط ويتذكرنها عندما تتجسد في حياتهن ، وبعد ذلك يراعينها في تفاعلاتهن مع الأطفال. وقد وجد أيضاً أن الأمهات ينمين القدرة على استخدام معايير التوسط لتقييم التوسط المتواصل بين أفراد الأسرة المختلفين والطفل ، وكذلك بين موظفي رعاية الطفولة أو المعلمين والطفل.

يفيد لعب الأدوار في التوسط ، كأن ينقل الوسيط إلى الأم إمكانية فهم سلوك الطفل إذا وضعت نفسها مكانه. يمكن للوسيط مثلاً أن يقول : "افترضي أنك الطفل ، وأن الأسرة كلها تجتمع في غرفة الجلوس ، وأخذوك إلى غرفة مظلمة وطلبوا منك أن تخلدي إلى النوم. كيف سيكون شعورك؟" ومن أجل مساعدة الأم في إدراك شعور الطفل ، فقد يكون من الضروري في بعض الأحيان أن يمارس الوسيط معها لعب الأدوار ، حيث تلعب هي دور الأم وهو دور الطفل. ومن خلال دور الطفل يمكن للوسيط أن ينطق بما يمكن أن يشعر به الطفل ويساعد الأم في التبصر حول سلوك

طفلها. وهذا الإجراء يكون مفيداً بدرجة كبيرة عندما تكون الأمهات يعتقدن أن ثمة نوايا سلبية تكمن خلف سلوك أطفالهن.

إن التشارك Sharing هو العرض اللفظي أو غير اللفظي لعمليات التفكير أو سلاسل السلوك العلنية أو الطرق التي يستخدمها الفرد في المواقف المختلفة (مثلاً: "عندما أنظر إلى سؤال من هذا النوع أجدني مشوشاً. لذلك أسأل نفسي ... أولاً ثم ..."). ويكون التشارك مفيداً بالدرجة الأولى في تركيز انتباه الأمهات على مشاعرهن وأسبابها ونتائجها. ومن خلال هذه العملية يمكن للأم أن تتشارك في "الحكمة الثقافية" في شكل الأقوال الشعبية، أو القصص، أو الإستراتيجيات الفعالة للتواصل، أو أشكال التعبير عن التأثير، أو المعلومات حول عمليات معرفية مثل الذاكرة أو التخطيط أو التقييم. على سبيل المثال قد يقول الوسيط: "عندما أريد أن أتذكر شيئاً أحاول أن أراه بوضوح في ذهني بتفصيل كامل وبأكثر طريقة إمتاع لي. فذلك يساعدني في تذكره لاحقاً".

ويمكن للقصص وأغاني الأطفال والأغاني عموماً والرقص والموسيقى التي تخص الثقافة أن تستخدم لتحسين التوسط إلى الأطفال الصغار. وهنا يتم تشجيع الأمهات على أن تحكين قصصاً لأطفالهن أو يغنين لهم ويرقصن معهم، ويقوم الوسطاء بمساعدتهم في تحديد عناصر التوسط الجيد في مثل هذه التفاعلات.

التأثير في تصورات مقدمي الرعاية للطفل واتجاهاتهم نحوه

تمثل تصورات الوالدين المعيارية لأطفالهم جزءاً من التقاليد والممارسات الثقافية ولا بد أن تحترم، بل إنه لا يمكن توقع تأثيرات مستدامة للتدخل إذا لم يعمل الممارسون في إطار هذه المعايير الثقافية. وإلى جانب ذلك يفترض أن هناك بعض التصورات والمشاعر والاتجاهات السائدة في علاقة مقدم الرعاية والطفل تكون حاسمة للنمو المثالي للطفل في أية ثقافة. ومن أمثلة هذه الاتجاهات والمشاعر الأساسية "لقد رزقت مولوداً رائعاً"، "أنا مهمة جداً بالنسبة لطفلي"، فهو يحبني ويحتاج إلي"، "أنا أستطيع أن

أساعد طفلي في النمو بديناً ومعرفياً". تناقش الفقرات التالية الأنشطة التي يستخدمها الزائرون المنزليون ببرنامج التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية لبناء تصورات إيجابية لدى مقدمي الرعاية.

ومن المفيد في ذلك الثناء الأم/الأب على الطفل (نستخدم مصطلح الأم/الأب هنا لأن هدف التدخل هو دعوة كل أفراد الأسرة للتفاعل مع الطفل)، والإشارة إلى محاسنه الخاصة مثل العيون الجميلة المليئة بالحياة والشعر اللامع والبشرة الناعمة والأيدي الصغيرة وما إلى ذلك. ومع ذلك يجب تقديم هذه المجاملات ببعض الحذر في بعض الثقافات. ففي إثيوبيا، على سبيل المثال، يعتبر الثناء والمجاملات خطرين لأنها قد تثير الحسد و"العين الشريرة"، فضلاً عن أن الثناء يعتبر أمر غير طبيعي في التفاعلات السلطوية بين البالغ والطفل. ولذلك فعند العمل مع الأثيوبيين في إسرائيل يجب تجنب توسط الكفاءة في حضور الغرباء.

تحدث بطريقة إيجابية عن أية تشابهات في الشكل بين الطفل وأمه. وإذا كان مع الأم صورا للطفل، يمكن استخدامها أيضاً لتحسين المشاعر الإيجابية نحو الطفل وإظهار أن الطفل نما منذ التقطت الصور. وفي أثناء ذلك لا بد من التشديد على دور الأم (مثلاً: "أنك أم عظيمة، انظري كيف نما").

قدم للوالدين المعلومات الأساسية حول النمو المتسلسل للأطفال في مختلف المجالات، بحيث يتمكنوا من إدراك حتى الخطوات الصغيرة في نمو طفلهم ويسعدوا بها. لكن تجنب أن تغرقهم بالمعلومات بأن تعني مجالات نمو الطفل التي يعتبرونها مهمة، وركز على هذه المجالات.

اظهر للأم أن الطفل يستجيب معها أكثر مما يستجيب لأي شخص آخر. فيمكنك مثلاً أن تجعلها تنادي على الطفل وتؤكد على استجابته، وأنه لا يمكن أن يذهب إلى أي شخص آخر في وجودها. وشدد أيضاً على العلاقة الخاصة بين الإثنين.

وأبرز كذلك السمات الإيجابية التي قد توجد في ممارسات تربية الطفل الحالية من جانب الوالدين وتفاعلاتهما مع الطفل.

تأسيس دورة إيجابية لتفاعل مقدم الرعاية والطفل

يعد تأسيس دورة تفاعل تعبيرية إيجابية شرطاً ضرورياً للتوسط. ومن المهم أن يتعلم الطفل أن العالم من حوله قابل للتنبؤ ومتجاوب لإشارات الضيق من جانبه، وكذلك السلوك الذي يعبر عن إثارة إيجابية (مثل التلذذات والتعبيرات الوجهية وغيرها من الإشارات الجسمية). كما يحتاج الطفل لأن يتعلم أن الأفضل والأجدي "أن يفعل شيئاً" أو أن يكون نشطاً بدلاً من أن يكون سلبياً وخائفاً وغير مهتم (عدم المبادرة بأي سلوك يعبر عن الاهتمام) أو غير مبالي (عدم الرد على أية محاولة للفت انتباهه)، وهذه جميعاً أشكال من السلوك يظهرها الأطفال الذين يفتقرون إلى الاتصال الإنساني المتجاوب في الطفولة. ومعظم الأطفال مهياًون لتعلم الإشارات الأساسية للتفاعل الإنساني، لكنهم يحتاجون إلى خبرة تعلم متوسطة لتنمية المزيد من هذه المهارات التواصلية وإضفاء معنى على مثل هذا التواصل.

أمثلة لأنشطة تأسيس حلقة تفاعلية إيجابية

لتأسيس حلقة تواصلية مع طفل أو بالغ يلزم تفسير سلوك الشريك على أنه قصدي، أي يعبر عن رغبات الشريك التواصلية وحاجاته وأفكاره، بدلاً من تقبلها على أنها عرضية. والوعي بنوايا الطفل مهم لسلوك البالغ التفاعلي، وبالتالي يقرر جودة التفاعل مع ذلك الطفل.

ومن أفضل الطرق التي يمكن لمقدم الرعاية من خلالها أن يبدأ حلقة التواصل التعبيري مع الطفل أن يفترض أن الطفل يعبر قصدياً عن رسالة من خلال إيماءاته وأنه يفهم الإجابات المعدلة من جانب مقدم الرعاية. مثل هذا الموقف التفسيري الذي يوجد حديساً لدى كثير من الأمهات يجعل التواصل مع الطفل طبيعياً وسهلاً.

وإلى جانب ذلك يتم تشجيع الوالدين على أن يسألوا أسئلة مثل: "ماذا يفعل طفلك الآن؟"، "ماذا يحاول أن يقول لك؟"، "ما هي مبادراته؟" إن الأطفال يحتاجون لأن يعايشوا الدفء والقرب الإنساني من شخص محب وأن يتلقوا تأكيداً لهذا الاتصال من خلال السلوك التعبيري من جانب البالغ. والوسطاء يساعدون أولياء الأمور في التعرف على الرسالة المحددة التي قد يحاول طفلهم أن ينقلها في أية لحظة محددة.

وعلاوة على ما سبق يتم تشجيع أولياء الأمور على أن يستجيبوا لمبادرات طفلهم بسلوك محدد، كأن يظلموا الاتصال بالعين مع الطفل، أو يتسموا له، أو يستجيبوا لسلوكه بحركات وتلفظات (مثل التريبت على الطفل أو تقليد الأصوات التي يصنعها). وثمة خيار آخر وهو أن يعكسوا سلوك الطفل بطريقة إيجابية توكيدية مطمئنة. ويجب على الوالدين عندما يتفاعلوا مع الطفل صوتياً أو بأية طريقة أخرى أن ينوعوا في نبرة الصوت "وفي الإيقاع عند أخذ الدور" (كأن يأخذ الطفل دور، ثم يأخذ الوالد دور، ثم مبادرة من الطفل). كما يجب على الوالدين أيضاً أن يظهرها سعادتهما لوجودهما مع الطفل ويعبروا عن ذلك بإظهار وجوه أو أصوات سعيدة. لكننا يجب أن ننبه إلى أن تلك الأمثلة تتعلق بتأسيس حلقة تواصل إيجابية ولا تكفي للتوسط الجيد. فالتوسط الجيد يتضمن عناصر أخرى مثل الإثارة ونقل المعاني وتوسيع السلوك وربطه وتشجيعه وتنظيمه.

إنهاء التدخل

يتتهي التدخل عندما يتمكن مقدمو الرعاية من أن يشرحوا معايير التوسط بلغتهم، ويظهروا هذا الفهم في تفاعلاتهم اليومية مع أطفالهم. وفي معظم الأسر المشاركة في إسرائيل أظهرت الأمهات تغيراً في السلوك نحو أطفالهن قبل أن يستطعن أن يشرحن لفظياً ما فعلته. وقد تأكد ذلك في دول أخرى كذلك. وإذا كان التسلسل الطبيعي هو أن يسبق الفعل التصور، فهل يجب أن يركز الوسيط أولاً على نمذجة الأساليب بدلاً من التفسيرات؟

إن الفكرة الأساسية وراء التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية ليست تعليم الأمهات والمربين أنواعاً محددة من السلوك، وإنما أن نساعدهم في تحديد أنواع السلوك الموجودة حالياً ضمن حصيلتهن والتي يمكن أن تساعد في نمو أطفالهن. والهدف من ذلك هو التغلب على صعوبات التعميم والانتقال التي تعوق كثيراً من البرامج التربوية. وأولياء الأمور من خلال تعلم أشكال السلوك الضرورية للتفاعل التوسطي الجيد ومن خلال توسط الكفاءة إليهم يتعلموا أن يستخدموا هذه الأشكال من السلوك أكثر فأكثر لاستدماجها كمعرفة منزوعة من السياق يمكن أن تطبق في مواقف كثيرة.

وأولياء الأمور من جانبهم لا يستخدمون هذا السلوك كثيراً فحسب، وإنما يتعلمون أيضاً أن يوقفوا سلوكهم مع إشارات المبادرة أو التبادل من جانب الطفل. وهنا لا يكون التوضيح والعرض وتركيز انتباه الطفل إلا خبرة تربوية "مهذرة"، أو حتى خبرة معيقة إذا كان الطفل غير مهتم أو مرهق أو غير مشار. ويتعلم أولياء الأمور أن يتصرفوا وفقاً لسلوك الطفل، الذي لا يمكن تعلمه عن طريق تكرار سلوك نمذج، وإنما من خلال عملية يبني البالغ فيها استبصاراً حول سلوكه مع الطفل. ويظهر أولياء الأمور هذه البصيرة أولاً من خلال التحسن في جودة التوسط، وفيما بعد من خلال استبصارات لفظية. وهدف التدخل هو أن يصل إلى هذه المرحلة اللفظية وألا يقنع بالتغير في السلوك فقط. ومقدمو الرعاية الذين يستطيعون أن يعبروا لفظياً بوضوح عما يؤلف التوسط الجيد (باستقلالية عن السياقات المحددة) يتوقع منهم أن يستخدموا ذلك في مواقف مختلفة بينما ينمو طفلهم ويواجه خبرات جديدة.

توصيات للمهنيين في الدول الأخرى

لقد استخدم التدخل التوسطي لزيادة حساسية مقدمي الرعاية في عدد من الدول، منها النرويج والسويد وبلجيكا وهولندا وإثيوبيا وسريلانكا وإندونيسيا والولايات المتحدة (Klein, 1996). وفي غضون ذلك كان التكييف الثقافي للبرنامج

واردا لأنه يقوم على عناصر أساسية في تفاعل الطفل مع البالغين، الذي يمكن أن يحدد ويحسن في معظم التفاعلات مع الأطفال الصغار في أي مكان. وسلوك التوسط (التدريس) الذي تم تحديده وتحسينه لم يستورد من خارج سياق الحياة العادية مع الأطفال في بيوتهم، وإنما تم تحديد سلوك التوسط من داخل سياق ومحتوى الحياة لكل أسرة ومجتمع محلي وثقافة. وعلى هذا النحو يمكن تقييم المعايير الأساسية للسلوك التعليمي من جانب البالغين (التركيز والإثارة وتوسيع وتشجيع وتنظيم السلوك) وكذلك أشكال السلوك الذي يؤدي إلى تواصل انفعالي إيجابي. وبالتالي يمكن أن تُحسن في أية ثقافة من أجل الأطفال ذوي النمو النموذجي والأطفال المعرضين للخطر. فضلاً عن أن استخدام سلوك التوسط يحسن التعلم الممكن في بيئة الحاسوب في أي بلد.

خاتمة

يحتاج الأطفال الصغار إلى توسط البالغين لكي تزيد إمكانية أن يستفيدوا من الخبرات الجديدة. وتُربط أنماط التوسط المختلفة بالسلوك الذي يميز الأطفال الصغار، بما يعكس الحاجات إلى طلب الموضوع في الإدراك والبحث عن المعنى وطلب معلومات أكثر من تلك التي تدرك مباشرة من خلال الحواس والربط بين الخبرات (مثل صنع تداعيات تلقائية) ومعايشة النجاح، خاصة في السياقات الاجتماعية. وقد طبق التوسط في عديد من البرامج التربوية المقدمة للأطفال الصغار في إسرائيل.

والتوسط النمائي يمكن أن يشكل مدخلاً ممكناً لتحديد الفترات الحساسة في التفاعلات التوسطية بين الطفل والبالغ. كما تؤكد البحوث أنه يمكن تعديل توسط مقدم الرعاية، وأن هذا النوع من التدخل يؤثر بشكل ملحوظ على نمو الأطفال وتعلمهم. أما الأنماط المحددة للتوسط فقد تختلف باختلاف الأطفال وإعاقاتهم. والوعي بمثل هذه الأنماط يعتبر شرطاً أساسياً لتخطيط التدخل المبكر للأطفال الصغار وأسرهم.

المراجع

References

- Feuerstein, R. (1979). *The dynamic assessment of retarded performers*. Baltimore: University Park Press.
- Feuerstein, R. (1980). *Instrumental enrichment: Redevelopment of cognitive functions of retarded performers*. Baltimore: University Park Press.
- Greenspan, S.I., & Wieder, S. (1998). *The child with special needs*. Reading, MA: Addison-Wesley.
- Hundeide, K. (1996). Facilitating cultural mediation: Indonesia. In P.S. Klein (Ed.), *Early intervention: Cross-cultural experiences with mediational approach* (pp. 113-133). New York: Garland Publishing.
- Klein, P.S. (1991). Improving the quality of parental interaction with very low birth weight children: A longitudinal study using a mediated learning experience model. *Infant Mental Health Journal*, 12(4), 321-337.
- Klein, P.S. (1996). *Early intervention: Cross-cultural experiences with a mediational approach*. New York: Garland Publishing.
- Klein, P.S., & Alony, S. (1993). Immediate and sustained effects of maternal mediation behaviors in infancy. *Journal of Early Intervention*, 71(2), 177-193.
- Klein, P.S., & Nir-Gal, O. (1992). Effects of computerized mediation of analogical thinking in kindergartens. *Journal of Computer Assisted Learning*, 8, 224-254.
- Klein, P.S., Nir-Gal, O., & Darom, E. (2000). The use of computers in kindergarten, with and without adult mediation; effects on children's cognitive performance and behavior. *Computers in Human Behavior*, 16, 591-608.
- Klein, P.S., Raziell, P., Brish, M., & Birenbaum, E. (1987). Cognitive performance of a 3 year old born at very low birth weight. *Journal of Psychosomatic Obstetrics and Gynecology*, 7, 117-129.
- Klein, P.S., & Rosental, V. (1999). *Developmental mediation for children with special needs*. Paper presented at the biannual meeting of the International Association for Cognitive Education, Calgary, Alberta Canada.
- Klein, P.S., & Tannenbaum, A.J. (1992). *To be young and gifted*. Westport, CT: Ablex Publishing.
- Klein, P.S., Wieder, S., & Greenspan, S.I. (1987). A theoretical overview and empirical study of mediated learning experience: Prediction of preschool performance from mother-infant interaction patterns. *Infant Mental Health Journal*, 8(2), 110-129.
- Tzuriel, D. (1999). Parent-child mediated learning interactions as determinants of cognitive modifiability: Recent research and future directions. *Genetic, Social, and General Psychology Monographs*, 132(2), 109-156.
- Vygotsky, L.S. (1978). *Mind in society: The development of higher psychological processes*. Cambridge, MA: Harvard University Press.